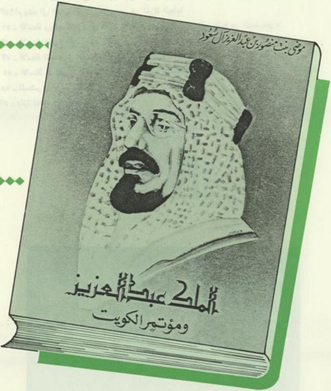
موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود
الملك عبد العزيز
ومؤتمر الكويت

● عرض وتعليق : د . سامية حسين سعد ●

الملك عبد العزيز

ومؤتمر الكويت ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤م

"موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود"

هذه دراسة تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الحديث من جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ولهذه الدراسة أهميتها من نواح كثيرة .

● **أولها** : أنها إسهام جيد من الجيل النسائى الجديد بالمملكة فى تاريخ المملكة والجزيرة .

● **وثانيها** : أن محور الدراسة هو جانب من جوانب عظمة **الملك عبد العزيز إبان مراحل كفاحه الدبلوماسى والعسكرى فى سبيل تأسيس المملكة** : فهى فترة من أهم الفترات فى تكوين المملكة .

* * * *

● **وثالثها** : أنه بالرغم من أن الباحثة هى إحدى حفيدات الملك عبد العزيز؛ إلا أنها ألبست إعجابها به ثوباً موضوعياً واضحاً .

● ورابع : الاعتبارات التى تضفى أهمية على هذه الدراسة : أنها تتعرض لموضوع الحدود فى منطقة شائكة لاتحكمها معاهدات أو علاقات ، وتسكنها قبائل متنقلة رُحّل ، وبين أطراف يتحفز بعضها ضد البعض الآخر .

ولقد أدركت الباحثة أنها تكتب عن شخصية كتب عنها الكثير ، بل تفرد الكتاب فى تعقب جوانبها وسبر أغوارها ، ورصد إنجازاتها ، ولا غرو فقد كان الملك عبد العزيز شخصية محورية طوال خمسين عاماً هى الممتدة من بداية هذا القرن حتى وفاته عام **١٣٧٢هـ «١٩٥٣»** ومن ثم شهد أعصف الفترات فى الجزيرة والمنطقة العربية ، وكان إدراكه لها وتفاعله معها مذهلا .

والكتاب عن شخصية هذا شأنها وخطرها يعرّض الكاتب لخطر التكرار أو السرد ، لكن الباحثة تقرر أن (كل ما أُلف عن الامام الملك عبد العزيز ، أو معظمه ، هو من قبيل التراجم ، أو تاريخ الحياة ، وأنها تكاد تأخذ منحنى موحداً) ولذلك رأت الباحثة أن (**هذا الثراء الفكرى والسياسى والاقتصادى الذى ملئ به ذلك العصر يستوجب تأريخ العصر على هيئة موضوعات مستقلة أو أفكار محددة ، ثم يعالج الموضوع أو تعالج الفكرة بطريقة أفقية من خلال العصر كله**) وكان ذلك دافعها لاختيار موضوع البحث .

والحق أن الباحثة ، وهى تنهل من مختلف المصادر المتنوعة ، تمكنت من الصمود مع منهجها ، فراحت تنسج منها ـ وعلى هدى هذا المنهج ـ فصلا جديدا ومفيدا فى تاريخ المملكة والجزيرة ، وتسطر فى نفس الوقت إحدى مآثر الملك عبد العزيز الدبلوماسية والعسكرية ، وذكائه الفطرى الذى مكّنه من الحِذق فى التفاوض مع كافة الأطراف الاخرى .

والكتاب يقارب المائة والخمسين صفحة بين مقدمة قصيرة ، وخاتمة طويلة « **الصفحات ١٤٩ : ١٨٥** » ، بالاضافة الى بيان بمصادر الدراسة ووثائقها « **الصفحات ١٩١ : ٢٢٣** » .

* * * *

وليس قصدى من عرض هذه الدراسة أن أتناول محتوياتها بالتلخيص ، أو النقد أو التصويب ، فالدراسة موجودة ميسور الاطلاع عليها لمن شاء ، وإنما قصدت أن أعلق على بعض نقاطها .

- **وأولى ملاحظاتى** على هذه الدراسة أنها تقع فى أربعة فصول تؤرخ للفترة مابين قيام سلطنة نجد وملحقاتها ، وتستكمل هذا الفصل الهام حتى فتح الحجاز عام ١٩٢٦م فى الخاتمة ، وهذا سبب معقول لطولها ، رغم تحفظى على تسميتها بخاتمة : لأن الباحثة حرصت على أن تجعل الفتوحات نحو الاتجاه فى الغرب « أى الحجاز » كانت إحدى ثمار «مؤتمر الكويت» .

والمطالع لهذه الدراسة يجد أن موضوعها وهو «مؤتمر الكويت» لم يعالج إلا فى الفصل الرابع ، بينما عقدت الباحثة الفصول الثلاثة الأخرى لتكون مقدمة تاريخية شاملة للمؤتمر ، ورغم أن هذا التقسيم ليس الأسلوب الأمثل من الوجهه المنهجية لتناول هذه الموضوعات ، فضلا عن أنه جعل الدراسة رأسية ، بخلاف ما أرادت الباحثة ، إلا أنها قدمت بهذا التمهيد عرضا جيداً يوصل القارئ مستريحاً ومهيأ إلى « **مؤتمر الكويت** » ، حتى إذا ما فشل المؤتمر ، أحس القارئ بالتعاطف مع الملك عبد العزيز ولازمه هذا التعاطف طوال فتوحاته فى الجبهة الغربية .

* * * *

- **والملاحظة الثانية** ، نجاح الدراسة فى الاحاطة بمواقف كافة الأطراف سواء فى الجزيرة (**أى عبد العزيز وآل الرشيد ، والأدارسة ، والشريف حسين**) أو القوى الخارجية وهى انجلترا والدولة العثمانية .

وقد نجحت الدراسة أيضا فى تصوير حلقات الحصار من هذه الأطراف كلها تقريباً « **باستثناء تعاطف الأدارسة مع عبد العزيز فى صراعه ضد الشريف حسين فى الحجاز** »

وادراكه العميق لهذا التطويق ؛ ولذلك نجده يوافق على اقتراح بريطانيا بعقد « **مؤتمر الكويت** »لكنه لايوافق على حضور العراق والحجاز وشرق الأردن مجتمعين ، وحارب عبد العزيز آل الرشيد فى البداية ، ثم كان « **مؤتمر الكويت** » نهاية مرحلة الفتوحات الشرقية ، وبداية الاتجاه صوب الغرب ، حيث دخل فى صراع مباشر ضد الشريف حسين . كذلك تصدى عبد العزيز للهاشميين فى العراق ، وشرق الأردن ، والحجاز فى وقت واحد ، بينما كانت تؤيدهم بريطانيا على وجه الاجمال ، فضلا عن تصدى بريطانيا باستمرار لآل سعود فى علاقتهم بساحل الخليج وإماراته منذ تعهد الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود بعدم الاتصال مباشرة بالساحل وإماراته فى النصف الثانى من القرن الماضى وصولا إلى « **معاهدة جدة عام ١٩١٥هـ** » التى جعلت ثمن مثل هذا التعهد الاعتراف بعبد العزيز سلطاناً لنجد وملحقاتها ، بعد أن كانت تلقبه « **حاكم نجد ورئيس قبائلها** » .

ولم يفتّ فى عضد عبد العزيز تحيز بريطانيا للشريف حسين الذى توهم أنه ملك العرب وطمح فى خلافة المسلمين ، وأسكرته وعود (مكماهون) الذى غرر به حتى يعلن الثورة على تركيا التى انحازت فى الحرب الأولى الى دول الوسط .

وكان صمود **عبد العزيز** وثباته فى سياساته هو الذى أقنع بريطانيا بالعودة اليه والاعتراف به .

● **والملاحظة الثالثة** : أن **عبد العزيز** رأى بثاقب نظره أن الحرب العالمية الأولى صراع استعمارى ، تورط فيها عدوّاه تركيا ، وبريطانيا ، فالتزم الحياد بينما طاشت الأطراف العربية الأخرى فى الجزيرة وخارجها موزعة بين هذا الجانب أو ذاك ، بل ناشد زعماء الجزيرة العرب المناوئين لها الارتفاع بالمصلحة العليا لشعب الجزيرة ، وعدم الزَّجّ به فى أتون الحرب .

* * *

● **والملاحظة الرابعة** : هى أن الملك عبد العزيز قد أظهر حكمة كبيرة فى معالجة مشاكل حدود القبائل مع جيرانه ، كما أظهر حرصه المبكر على تعيين الحدود معهم ، مع العراق

«بمعاهدة المحمرة عام ١٩٢٢م» ، وبروتوكولات العقير بعد ذلك ، واتفاقية العقير فى نفس العام لتخطيط الحدود مع الكويت ، كذلك كشف عبد العزيز عن دراية وحنكة فى كبح جماح بعض القبائل التى حاولت التمرد على سلطته والاساءة اليه بالاغارة على جيرانهم ، الامر الذى من شأنه إحراجه . مثال ذلك قبائل العجمان ، الاخوان وغيرهم ، وغاراتهم على العراق ، والكويت ، وشرقى الأردن .

* * *

● **والملاحظة الخامسة** : نجح عبد العزيز فى تطبيق نظريته بكسر المحالفات الهاشمية ضده ، عندما أصر على عدم اجتماع الوفود الثلاثة على موقف موحد ، أو متحدث واحد ، ورفض شرط العراق وشرقى الأردن لقبول توقيع معاهدة حدود معه ، وهذا الشرط هو أن هذا الاتفاق لايعتبر سارى المفعول الا بعد التوصل الى اتفاق بين الحجاز ونجد ، كذلك أصر عبد العزيز على عدم الاتصال الاقليمى بين شرقى الأردن والعراق ، وكان هذا ضد موقف بريطانيا الرسمي ؛ عندما تمسك بوادى السرحان الذى ادعى الأردن أنه يخص القبائل السورية ؛ أى أنه تمسك بأن تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسوريا ، وكان عبد العزيز قد وافق على الاشتراك فى « مؤتمر الكويت » مشترطاً ألا تتحدث أية حكومة باسم غيرها أو تشترك فى بحث ما يخص الحكومات الأخرى تطبيقاً لنظريته السالف ذكرها .

* * *

● **والملاحظة السادسة** : إذا كانت بريطانيا لأسباب كثيرة هى التى رتبت (المؤتمر الكويت) ودعت إليه ، وعملت بكل السبل على إقناع الملك حسين عاهل الحجاز للاشتراك فيه دون جدوى ، فقد أفاد هذا المؤتمر الملك عبد العزيز من حيث تحول بريطانيا عن الملك حسين بن على ، وزيادة اقتناع بريطانيا بشخصية العاهل السعودى ، ثم استكشافه لموقف بريطانيا الجديد الذى أفاده فى حساباته لضم الحجاز .

وقدمت الباحثة تحليلا جيداً للظروف المختلفة التى أدخلها عبد العزيز فى حساباته هذه . ثم إن عبد العزيز رأى أن يرجع الى قواعده الشعبية ومراجعه الدينية تأكيدا لخطه المستمر وتطبيق مبدأ الشورى استلهاماً للشرعية ؛ فعقد «مؤتمر الرياض فى ذى القعدة عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤ م) » حيث تم التركيز على ضرورة ضم بلاد الحجاز التى منع زعماؤها الحجيج من نجد ؛ وبذلك عطلوا قاعدة من قواعد الاسلام الخمس ، وكانت المفاجأة خلال حملة الحجاز أن أعلنت الدول الأجنبية وبخاصة بريطانيا حيادها فى الصراع بينه وبين حاكم الحجاز .

وهكذا أدى ضم الحجاز وفرار الملك حسين الى فتح ما استغلق فى مؤتمر الكويت ، فأمكن إبرام اتفاقية (بحرة) بين نجد والعراق واتفاقية (جدة) بين نجد وشرق الأردن ، ثم اتفاقية (مكة المكرمة) بين عبد العزيز والادريس ، وأعقبها **(معاهدة جدة)** بين ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وبين الامبراطورية البريطانية .

وفى النهاية أود الاشارة الى ان هذه الدراسة بحث فى الجغرافيا السياسية للمملكة ، لكن وقائع الصراع بين المملكة وبين جيرانها مالبثت أن تحولت إلى سياسة قوامها حسن الجوار والتضامن العربى والاسلامى بفضل الرؤية الثاقبة لمؤسس الدولة السعودية الثالثة ، فلم يفارق الدنيا إلا بعد أن أرسى دعائم استقرار هذه السياسة ، وأشرف على تطبيقها ، وتخرج من مدرسته أبناؤه الذين نهجوا نهجه ، وساروا على هديه .

◆